الصليب في فِكر بولس الرسول

س. من هو بولس الرسول ؟

- إسمه العبري شاول "أمّا شاوُلُ، الذي هو بولُسُ أيضًا ..." (أع١٣:٩)، من سِبط بنيامين، هذا الذي تنبأ عنه أبوه يعقوب قائلاً "بَنيامينُ ذِئبٌ يَفتَرِسُ. في الصّباحِ يأكُلُ غَنيمَةً، وعِندَ المساءِ يُقَسِّمُ نَهبًا" (تك٤٩:٢٧).
- قال عن نفسه أمام المجمع اليهودي، أنه فريسي إبن فريسي "أيُّها الرِّجالُ الإخوَةُ، أنا فرِّيسيٌّ ابنُ فرِّيسيٍّ" (أع٢٣:٦).
- كلامه يبين أنه يهودي متعصب "مِنْ جِهَةِ الخِتانِ: مَختونٌ في اليومِ الثّامِنِ، مِنْ جِنسِ إسرائيلَ، مِنْ سِبطِ بنيامينَ، عِبرانيٌّ مِنَ العِبرانيّينَ. مِنْ جِهَةِ النّاموسِ: فرِّيسيٌّ. مِنْ جِهَةِ الغَيرَةِ: مُضطَهِدُ الكَنيسَةِ" (في٣:٥-٦).
- وُلِدَ شاول في طرسوس، في ولاية كيليكية من أعمال الإمبراطورية الرومانية، وهناك قضى طفولته، لذلك دُعِيَ شاول الطرسوسي. وهكذا حصل على الرعوية الرومانية "فلَمّا مَدّوهُ للسِّياطِ، قالَ بولُسُ لقائدِ المِئَةِ الواقِفِ: أيَجوزُ لكُمْ أنْ تجلِدوا إنسانًا رومانيًّا غَيرَ مَقضيٍّ علَيهِ؟. فإذ سمِعَ قائدُ المِئَةِ ذَهَبَ إلَى الأميرِ، وأخبَرَهُ قائلاً: انظُرْ ماذا أنتَ مُزمِعٌ أنْ تفعَلَ!، لأنَّ هذا الرَّجُلَ رومانيٌّ. فجاءَ الأميرُ وقالَ لهُ: قُلْ لي: أنتَ رومانيٌّ؟. فقالَ: نَعَمْ. فأجابَ الأميرُ: أمّا أنا فبمَبلَغٍ كبيرٍ اقتَنَيتُ هذِهِ الرَّعَويَّةَ. فقالَ بولُسُ: أمّا أنا فقد وُلِدتُ فيها" (أع٢٢:٢٥-٢٨).
- ضمت طرسوس أكبر مراكز الفلسفة والعِلم والتهذيب العقلي، وبالأخص الفلسفة الرواقية التي تهتم بالأخلاقيات الشخصية، وقد ظهر شدة تأثيرها في كتابات وتعبيرات بولس الرسول فيما بعد "أنا رَجُلٌ يَهوديٌّ وُلِدتُ في طَرسوسَ كيليكيَّةَ، ولكن تربَيتُ في هذِهِ المدينةِ مؤَدَّبًا عِندَ رِجلَيْ غَمالائيلَ علَى تحقيقِ النّاموسِ الأبَويّ. وكُنتُ غَيورًا للهِ كما أنتُمْ جميعُكُمُ اليومَ" (أع٢٢:٣).
- بسبب يهوديته، صار يكره المسيح المصلوب بشدة، ويضطهد أتباعه، ويذيقهم أشد أنواع العذاب "أمّا شاوُلُ فكانَ لم يَزَلْ يَنفُثُ تهَدُّدًا وقَتلاً علَى تلاميذِ الرَّبِّ، فتقَدَّمَ إلَى رَئيسِ الكهنةِ وطَلَبَ مِنهُ رَسائلَ إلَى دِمَشقَ، إلَى الجَماعاتِ، حتَّى إذا وجَدَ أُناسًا مِنَ الطريقِ، رِجالاً أو نِساءً، يَسوقُهُمْ موثَقينَ إلَى أورُشَليمَ" (أع٩:١-٢)، "أنا الذي كُنتُ قَبلاً مُجَدِّفًا ومُضطَهِدًا ومُفتَريًا. ولكنني رُحِمتُ، لأنّي فعَلتُ بجَهلٍ في عَدَمِ إيمانٍ" (١تي١:١٣).
- ظل شاول هكذا، إلى أن أشرق عليه نور السيد المسيح وسمع صوته يناديه من السماء "حَدَثَ لي وأنا ذاهِبٌ ومُتَقَرِّبٌ إلَى دِمَشقَ أنَّهُ نَحوَ نِصفِ النَّهارِ، بَغتَةً أبرَقَ حَوْلي مِنَ السماءِ نورٌ عظيمٌ. فسَقَطتُ علَى الأرضِ، وسمِعتُ صوتًا قائلاً لي: شاوُلُ، شاوُلُ! لماذا تضطَهِدُني؟. فأجَبتُ: مَنْ أنتَ يا سيِّدُ؟. فقالَ لي: أنا يَسوعُ النّاصِريُّ الذي أنتَ تضطَهِدُهُ" (أع٢٢:٦-٨).

- تبدل حال شاول الطرسوسي - الذي كان مجدفاً ومضطهداً ومفترياً - وصار بولس الرسول الكارز العظيم، هذا الذي قال عنه الرب "كانَ في دِمَشقَ تِلميذٌ اسمُهُ حَنانيّا، فقالَ لهُ الرَّبُّ: اذهَبْ! لأنَّ هذا لي إناءٌ مُختارٌ ليَحمِلَ اسمي أمامَ أُمَمٍ ومُلوكٍ وبَني إسرائيلَ. لأنِّي سأُريهِ كمْ يَنبَغي أنْ يتألَّمَ مِنْ أجلِ اسمي" (أع٩:١٥-١٦).
- أحب بولس السيد المسيح الذي خَلَّصه، أحبه من قلبه، ومَلَكَ هذا الحُب على كل كيانه ومشاعره وعواطفه. فصار كارزاً مجاهراً بمسيحيته، مفتخراً بصليب يسوع المسيح "وأمّا مِنْ جِهَتي، فحاشا لي أنْ أفتَخِرَ إلا بصَليبِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ، الذي بهِ قد صُلِبَ العالَمُ لي وأنا للعالَمِ" (غلا٦:١٤)، "لأنِّي لم أعزِمْ أنْ أعرِفَ شَيئًا بَينَكُمْ إلا يَسوعَ المَسيحَ وإيّاهُ مَصلوبًا" (١كو٢:٢).
- وهكذا أعلن أن الله قد أفرزه من بطن أُمه لهذا العمل، فلا هدف له إلا دخول كل نفس لمعرفة الله والتمتّع بقوة الصليب واهب الحرية "لكن لَمّا سرَّ اللهَ الذي أفرَزَني مِنْ بَطنِ أُمِّي، ودَعاني بنِعمَتِهِ، أنْ يُعلِنَ ابنَهُ فيَّ لأُبَشِّرَ بهِ بَينَ الأُمَمِ، للوقتِ لم أستَشِرْ لَحمًا ودَمًا" (غلا١:١٥-١٦).
- تُعَّد كتابات بولس الرسول عن الصليب هي الأقدم في كتاب العهد الجديد، هذا الأمر نراه واضحاً في رسالته إلى غلاطية التي كتبها بعد رحلته الثانية إليها (حوالي عام ٥٥ م.)، هذه الرسالة هي من أقدم رسائل بولس الرسول (بعد رسالة تسالونيكي المكتوبة بين ٥٢-٥٣ م.). أي بعد أحداث الصليب بحوالي عشرين سنة. كان هذا بالطبع قبل كتابة إنجيل مرقس الذي هو أقدم الأناجيل من حيث زمن الكتابة (٦٥-٧٠ م.).
- في هذه الرسالة يُعلن بولس الرسول قوة إيمانه بالصليب وأحداثه كما لو كان واقع منظور بالعين أمامه، لكي يعيش المؤمنون حدث الصليب بكل تفاصيله، فيرونه بعيني العقل والإيمان ... وهكذا يظهر بولس كفنان رَسَّام ماهر يرسم لنا أيقونة الصليب "أيُّها الغَلاطيّونَ الأغبياءُ، مَنْ رَقاكُمْ حتَّى لا تُذعِنوا للحَقِّ؟ أنتُمُ الذينَ أمامَ عُيونِكُمْ قد رُسِمَ يَسوعُ المَسيحُ بَينَكُمْ مَصلوبًا!" (غلا٣:١).
(رَقاكُمْ = الرقية هي من أعمال السِحر، أي من كتب لهم تعويذة أو سحرًا، فإرتدوا سريعًا عن إدراك الحق بدرجة عجيبة كأن عقلهم في غيبوبة).

+ المشاكل التي واجهت كرازة بولس الرسول :

- **اليهود :**

١- فيما هو يؤكد ألوهية السيد المسيح ويعترف بصليبه، هو أيضاً يدين اليهود الذين صلبوه "لأنَّهُ عَرَفَ أنَّ رؤَساءَ الكهنةِ كانوا قد أسلَموهُ حَسَدًا" (مر١٥:١٠).

٢- يُعتبر المسيح ملعوناً حسب شريعة اليهود "لأنَّ المُعَلَّقَ مَلعونٌ مِنَ اللهِ" (تث٢١:٢٣).

٣- كان هناك بعض من اليهود المتنصرين المتعصبين للناموس، الداعين إلى العودة للديانة اليهودية، وإدماج المسيحية باليهودية، هؤلاء قد شككوا بعض المؤمنين في رسولية القديس

بولس وطالبوهم بختان الجسد وحِفظ الناموس حرفيًا (بدعة التهود & مجمع أورشليم) ... "لكن لَمّا رأيتُ أنهُم لا يَسلُكونَ باستِقامَةٍ حَسَبَ حَقّ الإنجيلِ، قُلتُ لبُطرُسَ قُدّامَ الجميعِ: إنْ كُنتَ وأنتَ يَهوديٌّ تعيشُ أُمَميًّا لا يَهوديًّا، فلماذا تُلزِمُ الأُمَمَ أنْ يتهَوَّدوا؟" (غل٢:١٤)، "أُريدُ أنْ أتعَلَّمَ مِنكُمْ هذا فقط: أبأعمالِ النّاموسِ أخَذتُمُ الرّوحَ أم بخَبَرِ الإيمانِ؟" (غل٣:٢).

- **اليونانيين :**

١- الإله عند اليونانيين لابد أن يتسم بالقوة، فكيف يقبلون إلهاً ضعيفاً مصلوباً، إذ أن الصليب يُمَثِّل أشنع وسيلة للإعدام عرفها ذاك العصر !.

٢- كان اليونانيون يطلبون من بولس الرسول تفسيراً مرضياً يجعل من واقعة الصليب ذات مغزى ديني مقبول لديهم.

+ الصليب في فِكر بولس الرسول :

(١) الصليب أداة إتمام الخلاص والفداء :

† "لأَنَّهُ لاقَ بذاكَ الذي مِنْ أجلِهِ الكُلُّ وبهِ الكُلُّ، وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرينَ إلَى المَجدِ، أنْ يُكَمِّلَ رَئيسَ خَلاصِهِمْ بالآلامِ" (عب٢:١٠).

† "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رو٣:٢٤).

† "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ" (رو٣:٢٥).

† "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١تي٢:٦).

† "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (تي٢:١٤).

† "وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ ... لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً خَطِيَّةً لأَجْلِنَا لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢كو٥:١٥-٢١).

- الصليب في فِكر بولس الرسول هو خطة إلهية سبق الله فأعدّها لتظهر في ملء الأزمنة، حين أعطى الله كل المؤمنين أن يتمتّعوا بعمل السيد المسيح الفدائي الخلاصي، خلال سفك دمه الكريم على الصليب.
- لم يكن موت السيد المسيح لأي خطية إرتكبها، فهو القدوس البار الذي "لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً" (٢كو٥:٢١)، إنما هو حمل خطايانا في جسده، فمات بدلًا ونيابةً عنا، فالسيد المسيح حُسِب كأثيم لأنه حمل آثامنا وخطايانا واللعنة الواقعة علينا.
- فالسيد المسيح هو رئيس خلاصنا، عِلة خلاصنا، الذي بصليبه أتى بأبناء كثيرين لمجد البنوة له.

(٢) الصليب هو ثمرة محبة الله للإنسان :

† "لأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ ... وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو٥:٦-٨).

† "اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ" (رو٨:٣٢).

† "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً خَطِيَّةً لأَجْلِنَا" (٢كو٥:٢١).

- الصليب هو إعلان سرّ محبّة الله للإنسان، حيث تنطلق النفس إلى الصليب لتلتقي بعريسها المُعَلَّق على الصليب لأجلها، لتُدرك حُبّه الحقيقي لها شخصيًا، فتشتهي أن ترد الحُبَ بالحُبِ.
- "الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ" الصليب كان في تدبير الله الأزلي، لكنه تحقق في الوقت المناسب لخلاصنا.
- على الصليب قدّم الله أسمى صورة للحُب من أجلنا، أحبنا ونحن "ضُعَفَاءَ" و "فُجَّارٍ"، فمن جهة كنّا ضعفاء مغلوبين بالخطيّة ساقطين تحت سلطان عبوديّتها. وفي نفس الوقت كنا نستسلم للخطيّة ونمارسها بكامل حريتنا، وأيضًا عن معرفة وفي تهوّر وإستهتار.
- ذبيحة الصليب هيَ كمال الإعلان عن الحُب الإلهي للإنسان، كما أنها كمال الإعلان عن غضب الله على الخطية "فبالأولَى كثيرًا ونَحنُ مُتَبَرِّرونَ الآنَ بدَمِهِ نَخلُصُ بهِ مِنَ الغَضَبِ!" (رو٥:٩).

(٣) الصليب محل إفتخار المؤمنين :

† "أَمَّا مِنْ جِهَتِي فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ" (غل٦:١٤).

† "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غل٢:٢٠).

† "أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا" (غل٣:١).

† "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غل٣:١٣).

- الإفتخار بالصليب يأتي لأن السيد المسيح أخذ عليه شكل عبد من أجلي، أُسلِمَ للعنةِ نيابةً عني، قَبِلَ الموت بدلاً مني ... أي شيء أعظم من هذا ينبغي أن نفتخر به ؟!.
- سِر إفتخارنا بالصليب هو أن السيد المسيح صار يحيا فينا، فصار لنا الشِبع والكفاية هنا على الأرض، والغنى والمجد في السماء بالحياة الأبدية.
- السيد المسيح قد مات كمصلوب على الصليب في نظر العالم، وعلى الصليب صار العالم ميتًا بالنسبة لنا، أي أننا أدركنا أنه باطل وزائل بكل ما فيه من مجد أرضي.
- السيد المسيح قَبِلَ الصليب لكي يفدي الخطاة بمحبته، ونحن كأعضاء جسده يليق بنا أن نشاركه حُبه العملي خلال صلبنا لجسدنا وذواتنا عن كل ما هو للعالم.

(٤) الصليب في مواجهة الحِكمة البشرية :

† "لأَنَّ المَسيحَ لم يُرسِلني لأُعَمِّدَ بل لأُبَشِّرَ، لا بحِكمَةِ كلامٍ لِئلا يتعَطَّلَ صَليبُ المَسيحِ" (١كو١:١٧).

† "وأنا لَمّا أتيتُ إلَيكُمْ أيُّها الإخوَةُ، أتيتُ ليس بسُموِّ الكلامِ أو الحِكمَةِ مُناديًا لكُمْ بشَهادَةِ اللهِ" (١كو٢:١).

† "وكلامي وكِرازَتي لم يكونا بكلامِ الحِكمَةِ الإنسانيَّةِ المُقنِعِ، بل ببُرهانِ الرّوحِ والقوَّةِ، لكَيْ لا يكونَ إيمانُكُمْ بحِكمَةِ الناسِ بل بقوَّةِ اللهِ" (١كو٢:٤-٥).

† "ولكننا نَحنُ نَكرِزُ بالمَسيحِ مَصلوبًا: لليَهودِ عَثرَةً، ولليونانيّينَ جَهالَةً!" (١كو١:٢٣).

- بولس الرسول هذا الذي كان فيلسوفاً بارعاً، وتعلم الحِكمة تحت قدمي غمالائيل (حاخام يهودي معروف وعضو في السنهدريم)، لم يستخدم حِكمة الكلام في كرازته، ولكنه أيضاً قاوم قبول الإيمان عن طريق الحِكمة البشرية، هذه التي تُعَطِّل الإيمان والتسليم والتصديق والقبول.
- "لِئلا يتعَطَّلَ صَليبُ المَسيحِ" تعني أن الحِكمة والعقل البشري إذا طغيا على الإنسان، فإن إيمانه بصليب السيد المسيح سوف يتعطل. ودليلنا في ذلك أن إحكام العقل فقط دون غيره في الإيمان، كان السبب لحدوث الكثير من البِدع والهرطقات (كيف يتجسد الله / كيف يُصلب ويموت الإله..).
- أحيانا يستخدم الله وسائل، يسخر منها الحكماء "جَهالَةً" ومن يَدَّعون المعرفة الدينية "عَثرَةً" :

- حَمَلَ السيد المسيح لعنة الصليب لأجلنا، وهذا هو الفداء في أبسط تعريف له "المَسيحُ افتَدانا مِنْ لَعنَةِ النّاموسِ، إذ صارَ لَعنَةً لأجلِنا، لأنَّهُ مَكتوبٌ: مَلعونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ علَى خَشَبَةٍ" (غل٣:١٣).
- السيد المسيح صار خطية لأجلنا، إذ حَمَلَ خطايا العالم كله على مِنكبيه (كل نوع، في كل زمان، وبأي مكان) ... "الذي بَذَلَ نَفسَهُ لأجلِ خطايانا، ليُنقِذَنا مِنَ العالَمِ الحاضِرِ الشِّرّيرِ حَسَبَ إرادَةِ اللهِ وأبينا" (غل١:٤).
- بينما كان الصليب مظهر من مظاهر الضعف، وهكذا إعتبر اليونانيون أنه من الجهالة أن يُكرز بإله مصلوب. بَيَّنَ لهم بولس الرسول أن السيد المسيح أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة، كما نصلي في لحن (أيها الوحيد الجنس، أومونوجينيس) "لأنَّهُ وإنْ كانَ قد صُلِبَ مِنْ ضَعفٍ، لكنهُ حَيٌّ بقوَّةِ اللهِ. فنَحنُ أيضًا ضُعَفاءُ فيهِ، لكننا سنَحيا معهُ بقوَّةِ اللهِ مِنْ جِهَتِكُمْ" (٢كو١٣:٤).

(٥) الصليب أعطانا إمكانية أن نموت مع المسيح :

† "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ. فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ" (رو٦:٣-٨).

- الصليب أعطانا كيفية الموت مع السيد المسيح وفيه عن طريق المعمودية، فالمعمودية في فكِر بولس الرسول هي موت وقيامة (ميلاد جديد)، وهكذا أعطتنا مركزاً جديداً في الحياة كأولاد لله.

- فالمعموديّة هي الصليب، فكما كان الصليب بالنسبة للسيد المسيح هو موت، هكذا تكون المعموديّة بالنسبة لنا. السيد المسيح مات بالجسد، أمّا نحن فنموت عن الخطية والشر. لهذا قال بولس الرسول "بِشِبْهِ مَوْتِهِ"، فإن هذا وذاك هما موت، لكن موضوع الموت مختلف تماماً ..... أما عن القيامة، فنحن نتمتع بالحياة معه وقوّة قيامته "بِقِيَامَتِهِ" العاملة في حياتنا من الآن.
- فمن يعتمد، يُصلب فيه إبن الله. فإن جسدنا بطبيعته لا يقدر أن يطرد الخطيّة ما لم يُصلب مع يسوع المسيح. وهكذا بالمعموديّة نُدفن معه لنقوم معه، ننزل معه لنرتفع معه، نصعد معه لنتمجّد أيضًا معه في الحياة الجديدة "جِدَّةِ الْحَيَاةِ".
- إن المعموديّة قد أماتت الخطيّة فينا، ولكي تظلّ الخطيّة ميّتة، يليق بنا أن نجاهد بلا إنقطاع أو تهاون، ولا نُطيع الخطيّة بالمرّة، بل نقف أمامها جامدين كالموتى.
- إن كان الله بكثرة رحمته نزع عنّا كل أثر للخطية بموت إبنه الوحيد على الصليب، وأعطانا بنعمته إمكانية البنوّة له، فيجب علينا أن نسلك كما يليق بنا كأولاد لله ونترك كل خطية.

(٦) الصليب طريق المصالحة :

† "لكن الآنَ في المَسيحِ يَسوعَ، أنتُمُ الذينَ كنتُم قَبلاً بَعيدينَ، صِرتُمْ قريبينَ بدَمِ المَسيحِ. لأنَّهُ هو سلامُنا، الذي جَعَلَ الِاثنَينِ واحِدًا، ونَقَضَ حائطَ السِّياجِ المُتَوَسِّطَ، أيِ العَداوَةَ. مُبطِلاً بجَسَدِهِ ناموسَ الوَصايا في فرائضَ، لكَيْ يَخلُقَ الِاثنَينِ في نَفسِهِ إنسانًا واحِدًا جديدًا، صانِعًا سلامًا، ويُصالِحَ الِاثنَينِ في جَسَدٍ واحِدٍ مع اللهِ بالصَّليبِ، قاتِلاً العَداوَةَ بهِ. فجاءَ وبَشَّرَكُمْ بسَلامٍ، أنتُمُ البَعيدينَ والقريبينَ" (أف٢:١٣-١٧).

- هنا نُلاحظ أن يسوع المسيح هو الذي سعى للسلام والمصالحة، بسفك دمه على الصليب.
- "بَعيدينَ" هنا نجد الله يُصالح الجميع حتى البعيدين المتمردين عليه.
- "هو سلامُنا" لو كان يعطينا سلاماً لكان المسيح خارجًا عنا، بل لأنه صار يحيا فينا، فصارت حياته فينا مصدر سلامنا وخلاصنا. فالسلام صار نابعًا من وجود المسيح فينا، صار هو حياتنا وسلامنا، وهذا السلام يفوق كل عقل ويحفظ كل قلب "سَلامُ اللهِ الذي يَفوقُ كُلَّ عَقلٍ، يَحفَظُ قُلوبَكُمْ وأفكارَكُمْ في المَسيحِ يَسوعَ" (في٤:٧).
- "نَقَضَ حائطَ السِّياجِ المُتَوَسِّطَ" إشارة إلى المنطقة الفاصلة في هيكل سليمان، هذه التي لم يكن ممكناً دخول الأممين إليها. هكذا تمت المصالحة على الصليب بين الله والناس بإنشقاق حجاب الهيكل. وأيضاً زالت العداوة بين اليهود والأمم بدخولهم في وحدانية الإيمان.
- "يَخلُقَ الِاثنَينِ في نَفسِهِ إنسانًا واحِدًا جديدًا" المصالحة ليست مجرد تغيير للعلاقة، لكنها طبيعة جديدة "يَخلُقَ" وهبها الله لكل من اليهود والأمم بالصليب "ليس يَهوديٌّ ولا يونانيٌّ. ليس عَبدٌ ولا حُرٌّ. ليس ذَكَرٌ وأُنثَى، لأنَّكُمْ جميعًا واحِدٌ في المَسيحِ يَسوعَ" (غل٣:٢٨).

(٧) الصليب وسيلة الشفاء :

† "إذ كنتُم أمواتًا في الخطايا وغُلَفِ جَسَدِكُمْ، أحياكُمْ معهُ، مُسامِحًا لكُمْ بجميعِ الخطايا، إذ مَحا الصَّكَّ الذي علَينا في الفَرائضِ، الذي كانَ ضِدًّا لنا، وقد رَفَعَهُ مِنَ الوَسَطِ مُسَمِّرًا إيّاهُ بالصَّليبِ، إذ جَرَّدَ الرِّياساتِ والسَّلاطينَ أشهَرَهُمْ جِهارًا، ظافِرًا بهِمْ فيهِ" (كو٢:١٣-١٥).

- الشفاء من عبودية الخطية (مَحا الصَّكَّ) : الصَّكّ الذي كان مكتوباً لتوثيق الخطية، سَمَّره السيد المسيح على الصليب، فصار كأنه غير موجود "أيْ إنَّ اللهَ كانَ في المَسيحِ مُصالِحًا العالَمَ لنَفسِهِ، غَيرَ حاسِبٍ لهُمْ خطاياهُمْ، وواضِعًا فينا كلِمَةَ المُصالَحَةِ" (٢كو٥:١٩)، "فإذ ذاكَ كانَ يَجِبُ أنْ يتألَّمَ مِرارًا كثيرَةً منذُ تأسيسِ العالَمِ، ولكنهُ الآنَ قد أُظهِرَ مَرَّةً عِندَ انقِضاءِ الدُّهورِ ليُبطِلَ الخَطيَّةَ بذَبيحَةِ نَفسِهِ" (عب٩:٢٦).
- الشفاء من لعنة الناموس (الفَرائضِ) : كان الناموس ضداً لنا، لأنه يدين الشخص الكاسر للوصية ويفضح أمره، لأن كل ما كان يعمله الناموس هو أن يفتح بصيرتنا على الخطية، ولكنه لا يعطي قوة عليها "نَحنُ نَعلَمُ أنَّ كُلَّ ما يقولُهُ النّاموسُ فهو يُكلِّمُ بهِ الذينَ في النّاموسِ، لكَيْ يَستَدَّ كُلُّ فمٍ، ويَصيرَ كُلُّ العالَمِ تحتَ قِصاصٍ مِنَ اللهِ" (رو٣:١٩)، "فإنَّهُ حتَّى النّاموسِ كانَتِ الخَطيَّةُ في العالَمِ. علَى أنَّ الخَطيَّةَ لا تُحسَبُ إنْ لم يَكُنْ ناموسٌ" (رو٥:١٣). فجاء الصليب ليعطي قوة وإمكانية تنفيذ الناموس "أمّا الآنَ فقد تحَرَّرنا مِنَ النّاموسِ، إذ ماتَ الذي كُنّا مُمسَكينَ فيهِ، حتَّى نَعبُدَ بجِدَّةِ الرّوحِ لا بعِتقِ الحَرفِ" (رو٧:٦).
- الشفاء من سلطان إبليس (جَرَّدَ الرِّياساتِ والسَّلاطينَ) : الصليب جرد إبليس من سلطانه، فعندما جاء ليقبض على روح السيد المسيح لحظة موته على الصليب، إبتلعه هو لأنه هو الحياة ذاتها "فإذ قد تشارَكَ الأولادُ في اللَّحمِ والدَّمِ اشتَرَكَ هو أيضًا كذلكَ فيهِما، لكَيْ يُبيدَ بالموتِ ذاكَ الذي لهُ سُلطانُ الموتِ، أيْ إبليسَ" (عب٢:١٤).

(٨) الصليب هو سر إحتمال الحُزن والألم والإضطهاد :

† "لذلكَ نَحنُ أيضًا إذ لنا سحابَةٌ مِنَ الشُّهودِ مِقدارُ هذِهِ مُحيطَةٌ بنا، لنَطرَحْ كُلَّ ثِقلٍ، والخَطيَّةَ المُحيطَةَ بنا بسُهولَةٍ، ولنُحاضِرْ بالصَّبرِ في الجِهادِ المَوْضوعِ أمامَنا، ناظِرينَ إلَى رَئيسِ الإيمانِ ومُكَمِّلِهِ يَسوعَ، الذي مِنْ أجلِ السُّرورِ المَوْضوعِ أمامَهُ، احتَمَلَ الصَّليبَ مُستَهينًا بالخِزي، فجَلَسَ في يَمينِ عَرشِ اللهِ. فتَفَكَّروا في الذي احتَمَلَ مِنَ الخُطاةِ مُقاوَمَةً لنَفسِهِ مِثلَ هذِهِ لِئلا تكِلّوا وتخوروا في نُفوسِكُمْ" (عب١٢:١-٣).

- إن كانت شهادة القديسين هي عون لنا في جهادنا، حيث نتمثل بهم وننتفع بصلواتهم، ونظل مجاهدين في حلبة الصراع، ونلقي عنا كل ثِقل أرضي وخطية محيطة بنا، فنرتفع مع هذه

السحابة الإلهية إلى فوق. فإن آلام السيد المسيح من أجلنا حتى الموت - موت الصليب - هي ينبوع نِعم إلهية تسندنا في هذا الجهاد "تَفَكَّروا ... لِئلا تكِلّوا وتخوروا".

- الصليب يُعطينا نُصرة على الإضطهاد وعلى الألم وعلى الحُزن، فآلام السيد المسيح هي الأصل الذي إغتذى منه ينبوع آلام الآباء الرسل والقديسين لأجل تعزيتنا بهذه الصورة العظيمة الحقيقية.
- "رَئيسِ الإيمانِ ومُكَمِّلِهِ يَسوعَ" آلام الصليب لا تُحتمل، وخزيه مرّ، لكنه كان في عيني السيد المسيح هو موضوع سرور وفرح، إذ يراه الطريق الذي به يحملنا إلى قيامته ليُجلسنا معه وفيه عن يمين العرش الإلهي، فيكون هو عِلة "رَئيسِ" إيماننا.
- وهكذا بالمسيح يسوع ربنا نفرح بالألم - بالرغم من مرارته القاسية - إذ نرى طريق الأقداس مفتوحًا أمامنا. فالسيد المسيح إحتمل آلامه من أجلنا نحن الخطاة وليس من أجل نفسه، فكم بالحري يليق بنا أن نقبلها من أجل نفوسنا، خاصةً وأننا نتقبلها في المسيح المتألم !.

(٩) الصليب قوة الله :

† "فإنَّ كلِمَةَ الصَّليبِ عِندَ الهالِكينَ جَهالَةٌ، وأمّا عِندَنا نَحنُ المُخَلَّصينَ فهي قوَّةُ اللهِ" (١كو١:١٨).

- الصليب ليس هو مجرد رمز أو دليل أو إشارة لقوة الله، إنما هو قوة الله ذاتها بالحقيقة، قوة الله المُحَرِّكة لتغيير أساسات الإنسان الداخلي وتجديد الأعماق.
- نفس هذا المعنى نجده في حديث بولس الرسول عن الكتاب المقدس "لأنّي لستُ أستَحي بإنجيلِ المَسيحِ، لأنَّهُ قوَّةُ اللهِ للخَلاصِ لكُلِّ مَنْ يؤمِنُ" (رو١:١٦). فالإنجيل ليس هو مجرد كتاب يتحدث عن الله، إنما هو قوة الله وعمله في حياة كل من يؤمن به بصورة شخصية، حيث يحمل فيهم قوة فاعلة قادرة على الخلاص (قوة ⟵ فاعلية ⟵ تأثير ⟵ تغيير ⟵ عمل).
- من ينكرون الصليب وقوته يكونون هالكين، لأنهم يسلكون كمجانين جهلاء بلا تعقل، كمن يرفضون الأدوية التي تجلب لهم الشفاء والخلاص.

(١٠) الصليب مدرسة فِكر المسيح :

† "فليَكُنْ فيكُم هذا الفِكرُ الذي في المَسيحِ يَسوعَ أيضًا: الذي إذ كانَ في صورَةِ اللهِ، لم يَحسِبْ خُلسَةً أنْ يكونَ مُعادِلاً للهِ. لكنهُ أخلَى نَفسَهُ، آخِذًا صورَةَ عَبدٍ، صائرًا في شِبهِ الناسِ. وإذ وُجِدَ في الهَيئَةِ كإنسانٍ، وضَعَ نَفسَهُ، وأطاعَ حتَّى الموتَ، موتَ الصَّليبِ" (في٢:٥-٨).

- لا شكَّ أن فِكر المسيح يسمو بما لا يُقاس على كلِّ فِكر إنسان، لكن المطلوب منَّا أن نقتدي بـه. لأنه إنْ كان ذاك الذي هو رب وسيد بالطبيعة، يقوم بعمل عبد ويحتمل أقسى عقوبة مُمكنة بإرادته. فكيف يرفض مَن هو عبدٌ بالطبيعة، أن يعمل أيَّ عملٍ من الأعمال الخاصة بوضعه كعبد بالحقيقة !!!.

- فالصليب مدرسة للمحبة والطاعة والتواضع، ففي محبة الرب يسوع وإتضاعه وطاعته حتى الموت - موت الصليب - من أجلنا، دعوة لنا أن نتضع ونحتمل من أجل خلاصنا.
- فإما أن نكون مع السيد المسيح ونسلك في طريق الصليب معه، فنتمجد أيضاً معه. أو أننا نكون أعداء صليب المسيح فنسلك في طريق الهلاك.

س. من هم أعداء صليب المسيح ؟

† "لأَنَّ كثيرينَ يَسيرونَ مِمَّنْ كُنتُ أذكُرُهُمْ لكُمْ مِرارًا، والآنَ أذكُرُهُمْ أيضًا باكيًا، وهُم أعداءُ صَليبِ المَسيحِ، الذينَ نِهايَتُهُمُ الهَلاكُ، الذينَ إلَهُهُمْ بَطنُهُمْ ومَجدُهُمْ في خِزيِهِمِ، الذينَ يَفتَكِرونَ في الأرضيّاتِ" (في٣:١٨-١٩).

- من خلال كتابات بولس الرسول يتضح لنا أنه كانت لديه رؤية واضحة حول نعمة مجد الصليب.
- أيضاً نجد أنه كانت لديه بصيرة نافذة لتمييز خطورة أعداء صليب يسوع المسيح، لدرجة أنه لم يكن قادراً أن يذكرهم بدون أن يذرف الدموع عليهم باكيًا بمرارة وحُزن على هلاكهم.
- إنه لأمر مخيف أن يكون الإنسان عدواً للصليب الذي هو حكمة الله وقوة الله ومحبته.

- **الذينَ نِهايَتُهُمُ الهَلاكُ :** هلاكهم أبدي لأنهم تمردوا على إرادة الله للخلاص، ورفضوا محبته المتناهية، وأصروا على فِعل الخطية. فبرفضهم ذبيحة السيد المسيح على الصليب، يرفضون الخلاص ويموتون في خطاياهم إلى هلاك أبدي.
- **الذينَ إلَهُهُمْ بَطنُهُمْ :** يقيمون من بطونهم آلهة يتعبدون لها، فلا يعيشون من أجل الأبدية، بل كل ما يشغلهم هو الشِبع ولذة الطعام وممارسة الشهوة والجِنس والنجاسة. هم بهذا يقتاتون على أمور العالم المادية، فيهتمون بالجسد أكثر من الإهتمام بالروح كصورة من عبادة الذات.
- **الذينَ مَجدُهُمْ في خِزيِهِمِ :** الإفتخار بالأمور المخجلة وكسر القوانين التشريعية والأخلاقية والأدبية، بأن يرون في خزيهم وعارهم مجداً بسبب مفاهيمهم الخاطئة، حيث يبررون الشر ويفتخرون به، ويفعلون الخطية ويتباهون بها، متناسين أن الخطية عار وموت.
- **الذينَ يَفتَكِرونَ في الأرضيّاتِ :** من صار كل تفكيرهم منصبًا بكل ما يربطهم بأرض الشقاء، فإنشغلت أفكارهم دوماً بالماديات والأرضيات، فلا موضع للروحيات والإلهيات في قلوبهم وأفكارهم. حيث ينشغلون بالطريق السهل والترف في الحياة، ولم يعد لهم أي تطلع للسماء.

أخيراً : هل من شئ لم يقدمه لنا الصليب ؟!

- **أزال الخطية وكل آثارها، أنهى قوة الشيطان، حَطَّم الموت وكل سلطانه !.**
- **أعطى إمكانية بذل الذات، وإحتمال كل أنواع الآلامات !.**
- **الإزدراء بالزمنيات، والإشتياق إلى الأخرويات !.**
- **أعطى خلود النفس، وإمكانية قيامة الجسد !.**